PSSP
Peace and Security Studies
منصة دراسات الأمن والسلام

إصدار فكري

نزع الإنسانية وبنية الاستباحة في العنف الحربي: مقاربة سوسيولوجية لحالة جماعة الدعم السريع

الكاتب
إبراهيم ناصر- التاه محمد حرمة

صادر عن:
منصة دراسات الأمن والسلام

2026

مقدمة

في السياقات الحربية المعاصرة مثل الحالة السودانية، لا يقتصر أثر الحرب على إعادة توزيع القوة السياسية والعسكرية، بل يمتد ليشمل إعادة تشكيل أنماط التنظيم الاجتماعي، والقيم الحاكمة للعنف، وحدود العلاقة بين الإنسان والعنف. وفي مثل هذه السياقات، لا يعود العنف مجرد أداة وظيفية مرتبطة بأهداف سياسية أو عسكرية، بل يتدرج ليصبح جزءًا من آليات إنتاج الواقع اليومي، بما يجعله قادرًا على الاستمرار وإعادة إنتاج نفسه داخل البنية الاجتماعية، مع ما يرافق ذلك من إعادة تعريف لمفاهيم الشرعية والانتماء والمواطنة، وصولًا إلى إعادة صياغة مفهوم الإنسانية ذاته.

وفي هذا الإطار، يمكن الاستفادة من مقاربة حنّة أرندت، ولا سيما في كتابها آيخمان في القدس: تقرير حول تفاهة الشر، التي تفسر انخراط الأفراد في أنظمة عنف واسعة النطاق بوصفه نتيجة للامتثال المؤسسي وتآكل القدرة على الحكم الأخلاقي الفردي، أكثر من كونه تعبيرًا عن نوايا فردية مباشرة. كما يقدّم فوكو، في أركيولوجيا المعرفة (1969) والمراقبة والمعاقبة

(1975)، إطارًا لفهم السلطة بوصفها ممارسة تُنتج أنظمة من الخطاب والمعرفة. ولا يقتصر هذا الإنتاج على الفصل بين ما هو مشروع أو غير مشروع، بل يمتد إلى إعادة تشكيل مواقع الأفراد داخل بنية اجتماعية تُوزّع الاعتراف بالإنسانية وتعيد ضبط حدوده. وبهذا المعنى، تعمل السلطة عبر الخطاب على تنظيم الوجود الاجتماعي وتحديد من يُعترف به كذات كاملة الحقوق ومن يُقصى إلى الهامش.

وتختلف هذه المقاربة عن التفسيرات الأمنية التقليدية التي تختزل العنف في الانهيار المؤسسي أو ضعف الدولة، إذ تنظر إليه بوصفه بنية اجتماعية-رمزية تتشكل داخل علاقات القوة وتُعاد إنتاجها عبر الخطاب والممارسة.

ويُلاحظ في سياقات انهيار الدولة أن العنف لا يبقى محصورًا في لحظات استثنائية، بل يتسع تدريجيًا ليغدو جزءًا من الحياة اليومية داخل المدن، حيث يُعاد إدراكه كخبرة متكررة تتداخل مع تفاصيل المعيش اليومي بدل أن يُفهم كحدث منفصل أو طارئ.

وعند تطبيق هذه الأطر على الحالة السودانية المعاصرة، يتضح أن العنف المرتبط بالحرب لا يمكن اختزاله في أحداث منفصلة أو تجاوزات ظرفية، بل ينبغي فهمه كبنية مركبة تتشكل من تفاعل معقد بين التنظيمات المسلحة، وخطابات التبرير والإقصاء، واقتصادات الحرب الناشئة في ظل انهيار الدولة. وفي هذا السياق، تبرز جماعة الدعم السريع بوصفها فاعلًا مركزيًا في المشهد، ليس فقط من حيث قدرتها العسكرية، بل أيضًا من حيث التحولات البنيوية التي طرأت على بنيتها التنظيمية وأنماط ممارساتها الميدانية.

تهدف هذه الورقة إلى تقديم قراءة سوسيولوجية للعنف المفرط في هذا السياق، من خلال دراسة حالة جماعة الدعم السريع. ولا تدّعي الورقة تقديم تفسير شامل أو نهائي للحرب السودانية، بل تسعى إلى تحليل الآليات الاجتماعية والتنظيمية التي تسهم في استدامة العنف وإعادة إنتاجه، اعتمادًا على الأدبيات النظرية والمعطيات السياقية المتاحة.

أولاً: أطر نزع الإنسانية وسياقات العنف غير المتكافئ

يمثل مفهوم نزع الإنسانية مدخلًا أساسيًا لفهم ديناميكيات العنف الجماعي، إذ يشير إلى عمليات رمزية ونفسية يتم من خلالها تجريد الضحية من صفاتها الإنسانية، بحيث تُعاد صياغتها في وعي الفاعل المسلح كـ"فئة مستهدفة"، أو "تهديد وجودي"، أو مجرد "موضوع مشروع للعقاب". وتؤدي هذه الإزاحة الإدراكية إلى تقليل الكلفة الأخلاقية للعنف، مما يجعل الممارسات العنيفة أكثر قابلية للتبرير داخل البنية الذهنية والعقائدية للمقاتل. وغالبًا ما يتطور هذا المسار عبر ثلاث مراحل متداخلة: خطاب إقصائي يعيد تعريف الآخر ويعزله، يليه تطبيع اجتماعي يجعل العنف مقبولًا أو مألوفًا، ثم ينتهي إلى ممارسة ميدانية يصبح فيها العنف أمرًا مُتاحًا أو غير مُساءل عنه.

وتبرز أهمية هذا الإطار عند النظر إلى خصوصية الحرب الحالية في السودان، والتي تختلف في بنيتها عن أنماط العنف السابقة في تاريخ البلاد. ففي حين كانت النزاعات السابقة، مثل دارفور أو جنوب السودان، تتم غالبًا في الأطراف الجغرافية وتحت مستويات متفاوتة من التعتيم الإعلامي، فإن الحرب الراهنة نقلت العنف إلى قلب المدن الكبرى والمراكز السكانية المكتظة. هذا التحول جعل العنف أكثر ظهورًا واحتكاكًا بالحياة اليومية، وأدى إلى تغيّر طبيعة استهدافه ودلالاته الاجتماعية. ويتجلى ذلك ميدانيًا في انتقال أنماط الاستهداف من ساحات القتال التقليدية إلى الأحياء السكنية والأسواق، بما يجعل المدنيين جزءًا مباشرًا من فضاء الصراع.

وفي هذا السياق، يُقدّم الباحث محمد جلال هاشم، الذي يرى أن استهداف المدنيين والبيئة الحضرية يعكس في جانب منه عجزًا بنيويًا عن حسم المواجهات العسكرية المباشرة مع القوى النظامية، ما يؤدي إلى انتقال ثقل الصراع نحو الفضاءات الأكثر هشاشة داخل المجتمع المدني، وفق منطق العنف غير المتكافئ. وهو ما يتطابق مع ما يخلص إليه أمجد فريد الطيب (2026) من أن ممارسات الاستباحة والتنكيل ليست سلوكيات عارضة، بل تحركها بنية واحدة هدفها: "تجريد الإنسان من إنسانيته حتى يصير مادة قابلة للاستهلاك، جسدا يعذب، أو عضوا ينتزع، أو سلعة تباع". ويؤدي هذا التجريد الممنهج إلى إضعاف القيود الأخلاقية، ممهداً الطريق لتحول العنف إلى مورد لإنتاج النفوذ والمكانة."

ثانياً: ظاهرة "أبو لولو" بوصفها تجسيدًا لنزع الإنسانية

تبلغ عمليات نزع الإنسانية ذروتها فيما يمكن تسميته بـ"ظاهرة أبو لولو"، حيث تتكشف بشكل واضح التحولات العميقة التي تمس البنية الأخلاقية والاجتماعية للحرب. وبغض النظر عن الجدل حول هوية الفاعل أو تفاصيل الأفعال المنسوبة إليه، فإن الأهمية التحليلية لهذه الظاهرة تكمن في كونها تكشف انتقال العنف من ممارسة تُخفى أو يُنكر وقوعها، إلى فعل يُعرض ويُوثق ويُتداول عبر الوسائط الإعلامية، بل ويُقدَّم أحيانًا بوصفه مصدرًا للمكانة والهيبة داخل الفضاء الحربي.

ويعكس هذا التحول الاستعراضي إعادة تشكيل في طريقة إدراك العنف والضحية معًا؛ إذ يتم اختزال الضحايا إلى أجساد مجردة أو أرقام داخل مشهد الحرب، بما يسهّل تجاوز الاعتبارات الأخلاقية المرتبطة بالفعل العنيف. وفي المقابل، يُعاد بناء صورة الفاعل المسلح ليس فقط عبر قدرته على القتل، بل عبر قدرته على إظهار هذا الفعل وتقديمه كجزء من حضوره الرمزي داخل الجماعة المسلحة. وقد ساهم انتشار الهواتف المحمولة ومنصات التواصل في تحويل بعض وقائع العنف إلى محتوى متداول بسرعة داخل الفضاء الرقمي للحرب.

كما تشير هذه الظاهرة إلى تداخل واضح بين نزع الإنسانية وتراجع آليات الضبط والمساءلة، حيث يصبح توثيق العنف أو التفاخر به وسيلة لتعزيز النفوذ وبناء السمعة داخل البيئة القتالية. وبهذا المعنى، لا يعود القتل مجرد فعل عنيف معزول، بل يتحول إلى مورد رمزي يُستخدم لإنتاج الاعتراف الاجتماعي داخل جماعات السلاح، وإعادة ترتيب علاقات القوة داخلها.

ثالثًا: اقتصاد الحرب وسوسيولوجيا النهب

لا تتحرك استمرارية العنف وطاقته الاندفاعية بفعل الخطاب الوجداني وحده، بل تستند أيضًا إلى بنية اقتصادية موازية يمكن الإشارة إليها محليًا بـ"اقتصاد الشفشفة" (اقتصاد الغنائم). فقد تحولت عمليات النهب الواسع للمنازل والمصانع والأسواق والمركبات في الخرطوم والجزيرة وسنار وغيرها، من ممارسات فوضوية أو فردية، إلى نمط شبه منظم يوفّر موردًا ماديًا مباشرًا لاستمرار

العمليات. هذا النمط أسهم في تقليل اعتماد التنظيم على التمويل التقليدي، وخلق في المقابل علاقة مصلحية مباشرة بين المقاتل واستمرار حالة الحرب. كما رُصدت خلال فترات سيطرة متقطعة حالات بيع لممتلكات منهوبة داخل أسواق محلية، بما يعكس تحوّل الغنيمة إلى دورة اقتصادية شبه مستقرة.

وفي محاولة لفهم هذا السلوك الجمعي داخل المجال الحضري، يمكن الاستعانة باستعارة من الذاكرة الشعبية السودانية تتمثل في طائر "أم قْرَيدون". إذ يُصوَّر هذا الطائر في المخيال المحلي ككائن يتحرك ضمن أسراب كثيفة، يهبط فجأة على الحقول والمساحات المزروعة، يلتهم الموارد بسرعة، ثم يغادر تاركًا خلفه فراغًا وضررًا ممتدًا. ورغم طابعها الرمزي، تعكس هذه الصورة إدراكًا جمعيًا لنمط من الفعل القائم على الحشد والاستهلاك السريع للموارد دون تحمل كلفة الاستقرار أو الإدارة.

يمكن إسقاط هذه الاستعارة على بعض أنماط الفعل الميداني لجماعة الدعم السريع، حيث لا يتأسس السلوك القتالي على منطق الجيوش النظامية التي تحافظ على المجال وتديره، بل على منطق الهجوم الحشدي السريع الذي يستهلك الموارد المحلية عبر النهب، ثم يعيد تدويرها داخل شبكات اقتصادية جديدة، من بينها ما يُعرف في السياق المحلي بـ"أسواق دقلو". ويسهم هذا المسار في تطبيع الفعل غير القانوني، وإعادة إدماج عناصر اجتماعية مختلفة داخل دورة الاقتصاد الحربي.

ومن هذا المنظور، لا تعمل هذه "الدينامية الحشدية" فقط على إنتاج موارد مادية، بل تنعكس أيضًا على البنية الأخلاقية للمقاتل؛ إذ يتراجع الإحساس الفردي بالمسؤولية داخل فعل جماعي كثيف الحركة، ويصبح معيار الانتماء مرتبطًا بالمشاركة في السلوك الجمعي نفسه. وبذلك، يتحول العنف من فعل يُنظر إليه باعتباره استثناءً، إلى ممارسة مُطبّعة داخل منطق الحشد واستمراريته.

رابعًا: الخطاب وتحولات العقد الاجتماعي

من أبرز التحولات التي أفرزتها الحرب الراهنة تراجع طبيعة العلاقة بين الفاعل المسلح والمجتمع، إذ انتقلت هذه العلاقة تدريجيًا من منطق "الحماية" إلى منطق "السيطرة والاستباحة". وفي هذا السياق، يُعاد إنتاج تعريف المدنيين بوصفهم "موضوعات أمنية" أو "غنائم مؤجلة"، بدلًا من كونهم مواطنين يتمتعون بحقوق سياسية وقانونية مستقرة. وقد أسهم هذا التحول في إضعاف فكرة المواطنة نفسها، وفتح فجوة عميقة داخل العقد الاجتماعي السوداني الذي كان هشًّا أصلًا.

ولا يقتصر دور الخطاب الإعلامي والاتصالي المرتبط بالحرب على وصف العنف أو تفسيره، بل يتجاوزه إلى المشاركة في إنتاجه وتوجيهه. فعندما يُعاد تقديم الخصم أو الجماعات المرتبطة به بوصفهم تهديدًا وجوديًا، أو "غرباء"، أو فئات خارج الإطار الإنساني المشترك، تتراجع القيود الأخلاقية والنفسية التي تحد عادةً من ممارسة العنف. وبهذا المعنى، يصبح الخطاب جزءًا من البنية التي تُنتج العنف وتعيد تطبيعه، وليس مجرد انعكاس له أو تعليق عليه. ويترافق ذلك مع خطاب تعبوي متصاعد في الفضاء العام ووسائل الإعلام المحلية، يعيد تشكيل تصورات الخطر والانتماء على أساس ثنائي حاد.

خاتمة:

تشير هذه القراءة السوسيولوجية إلى أن العنف المرتبط بجماعة الدعم السريع في سياق الحرب السودانية الراهنة لا يمكن اختزاله في سلسلة من الحوادث المعزولة أو التجاوزات الفردية، بل يمثل بنية مركبة تتشكل وتستقر تدريجيًا داخل الفضاء المدني. تكمن خطورة هذا العنف في طابعه التراكمي وتمدده ليتداخل مع تفاصيل المعيش اليومي، مما يؤدي إلى تآكل الحدود الفاصلة بين "الاستثناء" و"الاعتياد"، ويحول العنف إلى نمط مألوف داخل البنية الاجتماعية بدل أن يظل حدثاً طارئاً خارجها.

ومن هذا المنظور، يتضح أن استمرارية هذه البنية الاستباحية ترتبط بشروط متداخلة تتجاوز البعد العسكري المباشر؛ أبرزها اتساع اقتصادات الحرب غير الرسمية، وتآكل أنماط الضبط المؤسسي، وديناميكيات الحشود القتالية القائمة على النهب. بناءً على ذلك، فإن أي مقاربة جادة لاستعادة الاستقرار لا يمكن أن تكتفي بالتسويات السياسية الهشة أو الترتيبات الأمنية المؤقتة، بل تتطلب تفكيك الشروط الاجتماعية والاقتصادية والرمزية التي سمحت بتوطين هذا العنف، وعلى رأسها معالجة جذور الاقتصاد الحربي وإعادة بناء مؤسسات الدولة على أساس الاحتكار المنظم والشرعي للقوة.

في النهاية، يبرز تفكيك الشروط التي تجعل إعادة إنتاج العنف ممكنة كشرط أساسي لإعادة بناء العقد الاجتماعي السوداني. إن التحدي الحقيقي الذي تضعه هذه الدراسة لا يقتصر على إنهاء المعارك العسكرية فحسب، بل يمتد إلى كيفية استعادة حد أدنى من الثقة الاجتماعية، وترسيخ مبادئ المواطنة المتساوية، وتفعيل آليات المحاسبة والعدالة الانتقالية؛ كسبيل وحيد لفصل العنف عن تفاصيل الحياة اليومية وضمان عدم مأسسته في المستقبل.

المراجع:

1. أرندت، حنّة. (2014). ايخمان في القدس: تقرير حول تفاهة الشر. المترجم، نادرة السنوسي، تقديم علي عبود المحمداوي، بيروت: دار ابن النديم- دار الروافد.

2. فوكو، ميشيل. (1975). المراقبة والمعاقبة؛ ولادة السجن. ترجمة: د.مقلد، علي. مراجعة وتقديم: صفدي، مطاع. (ط.1). لبنان: منشورات مركز الإنماء القومي1990.

3. فوكو، ميشيل. (1969). أركيولوجيا المعرفة. ترجمة: سالم يفوت. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي1987.

4. الطيب، أمجد فريد. (2026، 16 يونيو). معتقلات دارفور... أي فظاعة بقيت في السودان؟ مجلة المجلة. تاريخ الاطلاع: 16 يونيو 2026، متاح عبر الرابط:

5. https://www.majalla.com/node/331587

6. بي بي سي نيوز عربي. (2025، 31 أكتوبر). السودان: تحقيق لبي بي سي يكشف عن هوية عنصر في الدعم السريع يلقب بـ "أبو لولو" متهم بتصفية أسرى. تاريخ الاطلاع: 16 يونيو 2026، متاح عبر الرابط:

7. https://www.bbc.com/arabic/articles/cnverv4l13vo

الكاتب
إبراهيم ناصر- التاه محمد حرمة

صادر عن:
منصة دراسات الأمن والسلام

2026